خيـــــــول...

نزار عباس

كانت الخيول تركض بين اهدابه، وهو ينظر إلى باب مقهاه، حيث يدخل الزبائن، يسيرون بتثاقل، ويرمون اجسادهم المتعبة على التخوت ، ذهب ذلك الزمن! قال لنفسه وبصق على الارض.

حين كان "جوكياً" أيام الشباب، كانت ساحات سباق الخيل تمتلئ باسمه، بينما يكون على صهوة الحصان، يطير به، كما الريح، وسط عاصفة من صراخ المراهنين، اما الان فانهم يدخلون المقهى كالخيول المتعبة، وهو الاخر، أليس متعبا، والملل يفترسه ، واصوات الباعة والزبائن، وهذا الصبي الذي يوزع الشاي، باتت تملأ راسه بالصداع؟ واستمرت الخيول تركض، والزبائن يدخلون، ودخل بائع نشرة السباق فاشترى واحدة قربها من عينيه الكليلتين ، ولم يستطع القراءة، دفعها جانبا، بينما كان الالم يتصاعد في اعماقه ، تساءل: ترى ما قيمة حياته هذه، ولماذا يعيش، وهل صحيح ان الإنسان ، حين يترك زمن الصبا والشباب ، يجد حياة تستحق هي الأخرى ان تعاش؟

تذكر انه مر بالامس على فندق (ياسمين) ، كان الزبائن يخرجون ، صعد إلى غرفتها، قالت وهي تتثاءب: ها انت تعود، ما الذي اتى بك في هذا الليل؟ قال: الضجر، يا سعاد، الضجر، اكاد اختنق في المقهى، جالس مثل تمثال، من الصباح حتى المساء.

نظرت اليه بحنان، وتساءلت ، وهي تدعوه إلى الجلوس قربها: والاولاد؟ قال الجميع رحلوا عن البيت هذا في المعسكر، وذاك تزوج، وذهب إلى مدينة اخرى، والثالث في الخارج كما تعرفين ....

قدمت له كأسا ، فطلب مزيدا من الماء، ضحكت عن اسنان عبث بها الزمن: ها انت تداري ما تبقى من صحة! هل تتذكر عندما كنت تشربها بلا ماء؟!

ذهب ذلك الزمن، قال لنفسه، كما ذهب صدرك الريان ووجهك الجميل.. وابتسم وقال: ما علينا ، يكفينا ما نحن فيه، كأس قبل الاكل، واغفاءة بعده، تلك نصيحة الاطباء!

قامت إلى الثلاجة الصغيرة لتأتيه بقطعة ثلج، فلاحظ مشيتها المتثاقلة ، والعرق يسيل على جانبي الرقبة...

قال: والخيل؟هل تتذكرين تلك الأيام؟

قالت وهي تضع في كأسه قطعة الثلج: تلك دفاتر قديمة، من ينقلني إلى ساحة السباق؟

واين هي النقود؟ ولكن بيني وبينك، أحيانا ابعث بعض النقود، بيد الزبائن ، ليراهنوا ، لي ، على هذا الحصان أو ذاك...

. وهل تربحين؟

. أحيانا، وكثيرا ما اخسر...

. ولماذا لا تطلبين مني ما تحتاجين؟

. مقهاك بعيدة، ولم اصل إلى درجة العوز.

. وهذا الفندق؟

. انه يوشك على السقوط، وليس عندي من المال، ما استطيع به اعادة بنائه .

. وهل ياتي زبائن كثيرون؟

. واين هم الزبائن؟! ان احسنهم من يدفع حسابه ويخرج، اما البقية فيهربون .. ذهب ذلك الزمن، والوجوه الطيبة اختفت ولا شيء سوى العراك اخر الليل، والركض وراءهم من اجل الحساب...

نظر اليها نظرة محملة بشوق قديم وحنان دافق، وقال:إذا احتجت إلى شيء فانا موجود...

قام يودعها ، فلم تطلب منه البقاء حتى الصباح، كما كانت تفعل في تلك السنين.

قالت: اعتن بصحتك.

قال: وانت كذلك ، فلم نعد شبابا!

وخرج إلى الشارع المظلم ، الا من مصابيح صغيرة، تنير نفسها، وكانت الخيول ثقيلة، تخب في اعماق الليل، في ساحات خالية... اما هو، فأغفى على مقعده، وراح في سباق عميق.

عـــولمـــة الـــروايـــة

نزار عبد الستار

قطعت الرواية، منذ منتصف القرن التاسع عشر والى فترة ما بين الحربين العالميتين، سلسلة من المتغيرات كان اخطرها ما يتعلق باثبات الوجود امام التحولات المدنية الهائلة اثر ولادة فكرة الحياة العصرية التي جاء بها القرن العشرين. ان دعوة الاقتراب من الحياة التي اطلقها هنري جيمس هي بالاساس نبوءة على قدر كبير من المصداقية، وقد اثبت الزمن لمؤيديه بعد قرن كامل، قوة تلك الارادة التي قادت العالم إلى مستقبل رسمه خيال روائي بعيد النظر مثل جيمس.

لقد وجدت دعوة الاحياء والتجديد في الامريكيتين والجزء الغربي من اوربامن يساندها، واتمنى، روائيو تلك البلدان، على عجل، إلى عصبة من يريد اللحاق بركب الحياة الجديدة، حتى ان ادب المقاومة الفرنسي ، وادب المعارضة الالماني، كانايعبران عن حيويتهما الواقعية أكثر من انشغالهما بتأسيس ايديولوجية معادية. واذا ما تتبعنا المسار التنظيري عبر تلك العقود، نجد ان اغلب الذين عملوا على تجديد مفهوم التجربة الكتابية اكدوا على سلطة جديدة للمؤلف ، وبشروا بعقل الخالق الفني، وليس بعين الخالق الفني التي مات عندها بلزاك.

على هذا الاساس نشط العديد من العباقرة ، وعلى مدى قرن، في المحافظة على حياة الرواية كجنس مثير وجذاب، وهم يتحسسون، بقلق عصيب، بوادر انقلاب المزاج العالمي الذي تشكل بوضوح مع ذبول القرن التاسع عشر. ان محاولة انعاش الرواية ودفعها إلى ان تكون متجددة وحاضرة وسط العالم المتمدن اخذت من الروائيين جهدا كبيرا، لقد تداول اساتذة هذا الفن، عبر حيوات متتالية، أمكانية ان يواجه جنس الرواية تهديدات فنية كبيرة تقودها موجة الاختراعات العاصفة والتطور المدني الهائل، وكان على الروائيين تحقيق مراجعة دقيقة وفحص نجاحات روائية باهرة عاشت قروناً من دون ان تفقد بريقها الانساني وقوة جذبها. هذا الفحص نبه الكثيرين ومنهم فورستر إلى كارثة الغرق في التفاصيل على الطريقة الانكليزية الباردة، خاصة ان العالم الجديد اوجب تسجيل ملاحظات كثيرة وغائمة عن صورة الحياة مع تطور الانتاج، فكان لا بد للموهوبين من العودة إلى المهارة الفرنسية الفلوبيرية، واستغلال الثورة الطباعية في الترويج لرواية استهلاكية ، وانهاء دورة نمو الرواية عند نقطة لم يكن بالامكان الوصول اليها في السابق الا عبر طرق تقليدية (وبروتوكولات) حضارية متوارثة.

ان وصول الرواية إلى نقطة الجماهيرية وبالتالي إلى العالمية لم يكن بالشيء السهل، ففي الثقافات المكابرة كان يمكن الاعتراف بثقافة معاصرة اخرى، كقبول الانكليز بانسانية الروس، واعتراف الروس بفضل الفرنسيين، ولكن احدا لم يكن يهتم بالاقليات الحضارية على غرار الحب الذي قابل به غوتة الحضارة العربية والاسلامية. ان عبقريات جليلة كالتي منحها الله لرؤوس كبيرة مثل ديستويفسكي وهيجو وبلزاك ابقت على هاجس التحدي في اناس مثل هنري جيمس وجيمس جويس ولورنس، وكان لابد من نقل الرواية من المرحلة النفسية إلى الفكرية ثم إلى المعرفية لكي تعود مرة اخرى إلى نقطة الخيال المطلق. لهذا يصبح من الخطأ القول ان اساتذة الفن كانوا يطمحون إلى اكتشاف تقنيات جديدة، واغفال حقيقة انهم كانوا يبحثون عن المهارة.

ان حساسية الرواد الاوائل ادركت اهمية المحافظة على سعة الخيال الامر الذي دفعهم إلى البحث عن وسيلة تمكن الرواية من البقاء والصمود حتى انتهاء الخليقة، وكانت الفكرة البكر آنذاك تتمثل في الحيوية. حيوية ما يكتبه الروائي ومدى قدرة الخيال على ان يكون تقدميا ويستنبط من اندفاع الحياة، وان يكن متماهيا مع العصر، ويرضي حاجات الإنسان، وله القدرة على تنسيط العقل وصناعة الدهشة والمتعة والخيال. ان مهمة البحث عن هكذا قوة اوقعت جيشا من النقاد والمؤرخين في اخطاء لا تغتفر وجعلتهم يردون على مغامرين افذاذ امثال جيمس جويس وكونراد وفرجينيا وولف بنظريات معقدة. حدث هذا في وقت كانت الرواية فيه تحقق تقدما هائلا في كسب المزيد من القراء، وفي التأسيس لانتشار واسع، وهكذا استمرت الرواية في مواجهة ثورات المكننة واعاصير الالكترونيات والتوسعات الافقية والعمودية بثبات وثقة.

اننا نقف اليوم امام معجزات فنية جديدة كتبت بمهارة ويمكن بسهولة العثور فيها على الجهد الذي بذلته الرواية لكي تبقى مثيرة وقادرة على الجذب والاغراء، ان روايات مثل: اسم الوردة، العطر ، اسمي احمر، مدينة الاعاجيب، هي نسخ مكتوبة على غرار أكثر الكلاسيكيات روعة من امثال : بؤساء هيجو، وهاملت شكسبير، لقد ساهم التطور العلمي والتقني في احداث ردة عكسية أدت إلى نبذ فكرة الفضاء الخارجي والاجرام السماوية والكائنات الفضائية والعودة مرة اخرى إلى الثراء التاريخي وسيرة الحضارة والى مزاوجة التاريخي والواقعي بالخيالي، وهنا تمكنت الرواية من استغلال الثقافات والانفتاح على العالم.

الرواية الان تعبر بواقعية عن اندماج العالم وقطبيته وعولمته، وهي منذ انتهاء الحرب الباردة تسعى للكشف عن ثقافات جنوبية لاظهارها بشكل حي وفعال. لقد تم توظيف الخيال والمهارة في الرواية لتوحيد العالم في تاريخ جديد وثقافات متقاربة وهذا يضعها في مرتبة السبق خاصة ان مفهوم الالهام اصبح حالة واردة في ابتكار النظريات السياسية الجديدة.

لا شك ان بروز الرواية باعتبارها الجنس الادبي الاقدر على استيعاب الطبيعة الحضارية والانسانية لبشر الشمال الارضي يعطينا انموذجاً لعمل فني يختلف كثيراً عن روايات تكتب في بلاد عربية أو في مناطق مختلفة من اسيا وافريقيا اذا دققنا النظر في اشخاص تلك البلدان الجنوبية من الذين نجحوا في طباعة ملايين النسخ من رواياتهم سنجد انهم على الاغلب من المؤهلين ليبدعوا على الطريقة الاوربية والاميركية الشمالية حيث تتوفر قدرات هائلة في تجارة الادب، وبالمقابل فان رصيد البلاد العربية والافريقية من نسب الفقر والامية والتخلف السياسي لا يشجع على ايجاد بيئة ملائمة لرواية جماهيرية.

ان عولمة الرواية وظهورها كسلطة فنية تثبت بحكايات جازمة ان العالم قد تغير، تهدد الكثير من الانماط الكتابية في بلاد الجنوب بالزوال خاصة ان معظم روايات تلك البلدان لا تتوفر فيها عناصر الجذب وهي غير ماهرة وتفتقر إلى الخيال.

ان مكانة الرواية باعتبارها الاكثر شيوعا في بقاع متسلطة ومؤثرة من العالم يجعلها الجنس الاقدر على الاشباع الجمالي، وهذا النجاح يحتم قبول دعوة الاخذ بالتجديد خاصة مع وجود فرصة حقيقية للاندماج مع العالم.

بولجاكوف وستالين سيرة الكاتب والدكتاتور

مذكرات الزوجة تكشف اسرار الاعجاب المخيف

موسكو: فالح الحمراني

عاش الاديب الروسي الكبير ميخائيل بولجاكوف (١٨٩١ - ١٩٤٠) حياتين: في الاولى مواطنا اضطهدته السلطة، وفنانا فرضت القيود على اعماله، وسعى إلى ان يسمع من (جوزيف ستالين) اعجابه به وامضى سنواته عاقدا الامل على حديث مع الدكتاتور الذي كان يمقته ويهابه كشخصية تاريخية.

والحياة الأخرى بعد مماته ، حيث نال تقدير القراء بشكل منقطع النظير واسر عقولهم. واظهر استطلاع ان بولجاكوف من بين أفضل عشرة كتاب روس في القرن العشرين ولم تر مؤلفاته النور بصورتها النهائية الا بعد انطلاقة اعادة البناء (البيريسترويكا) والجلاسنت التي دشنها الرئيس ميخائيل جورباتشوف في عام ١٩٨٥ وتعرضت اعمال بولجاكوف الروائية والمسرحية في عصر الاتحاد السوفياتي السابق للشطب والاختصار، وصدرت حينها ناقصة ومشوهة. وتباينت المواقف من اعماله الادبية واثيرت حولها السجالات، نظرا للغموض الذي يحف بمضامينها ويوفر التعددية في قراءتها وتفسيرها... بيد ان اجواءها تسربلت بالشفافية... والبساطة الحياتية حيث تركت مهنته كطبيب بصماتها عليها. فالمكان في قصصه: كييف وموسكو والموضوع سخريات شيطان ذكي وفنان عاجز ومحجوز في دار المجانين، والابطال الذين تعج بهم اعماله موليير وبوشكين ودون كيشوت وبقايا الحرس الابيض والمهاجرون الروس، وهم لا يطلبون شيئا بل يقفون بانتظار من سيأتي في منحهم هباته، وهكذا في كل مكان. ان بولجاكوف لم يضع في مهماته مواجهة السلطة فهو لم ينخرط في نضال سياسي، بل كرس حياته للادب. وكان ستالين بطله الاخير برغم ان (شاريكوف) الكلب الذي حوله البروفيسور بريوبريجينسكي إلى انسان في قصته (قلب الكلب)، كان رمزا للتداعيات السلبية للواقع الذي خلقته ثورة اكتوبر البلشفية، فان هذا الاديب لم يستطع تحدي عصره، وكل ما كان بمقدوره ان يكون شاهدا عليه ومفكرا وكاتبا، يطلع الناس على رؤيته لتوسيع بصيرتهم، واقصى ما كان يرجوه الا يزج به من دون جريمة في سجن أو معسكر عمل اجباري والا تصادر مخطوطاته . وتخرج عام ١٩١٦ في كلية الطب في جامعة كييف ومارس مهنته حتى عام ١٩١٩ ليتفرغ للادب. وفي عام ١٩٢١ عرضت روايته (أيام عائلة توربين) الشهيرة في المسرح الفني، في موسكو وعرض مسرح فوختانجوف مسرحية (شقة زايكين) وشاهد ستالين المسرحيتين مرات عديدة لاعجابه الشديد بهما. وفي عام ١٩٢٠ باشر في كتابة رائعته (المعلم ومارجريتا). وعمل في الوقت نفسه مساعد مخرج في المسرح الفني إلى جانب ستانسلافسكي . ولم تظهر (المعلم ومارجريتا) الا في عام ١٩٦٧ .

وقد صدر مؤخرا في موسكو كتاب يضم رسائل الاديب الروسي ميخائيل بولجاكوف والمذكرات التي سجلتها زوجته عنه التي تنشر أول مرة لتلقي المزيد من الضوءعلى علاقته المعقدة بجوزيف ستالين التي تعد واحدة من أكثر صفحات حياته مأساوية.

شبح ستالين

فكرة واحدة ظلت تراود بولجاكوف وهو على فراش الموت يلفظ انفاسه الاخيرة، وكان يفقد نظره تماما: (لقد افلتت الامور من يدي، قد فشلت باجراء حديث مع ستالين) . بيد ان الحوار غير المباشر الذي استمر بين الاديب والدكتاتور ظل متوترا على مدى عشر سنوات، من دون ان يسمع الكلمة الاخيرة التي انتظرها بولجاكوف . فشبح ستالين كدكتاتور وشخصية تاريخية لعبت دورا رئيسيا في مسرحية التاريخ، كان يطارده.

وتعرض رسائل الاديب المشهور ومذكرات زوجته موت روح الاديب قبل ان يفارق الحياة. والجانب الاكثراثارة في الكتاب تلك المذكرات المتفرقة التي طلب من زوجته تدوينها حينما شعر بدنو النزع الاخير. ولاحت الضربة الاخيرة في المبارزة بين الاديب والسلطة كأنها قدر محتوم. فلم يسمح بعرض غير مسرحيات معدودة من اعماله، ولم تجز الرقابة طبع أي من رواياته وفي نهاية الامر راهن بولجاكوف بكل شيء وكتب مسرحية (باتوم) التي كرسها لسيرة ستالين في شبابه. ولكنه تسلم في ١٥ آب عام ١٩٣٩ نبأ غير سار مفاده ان بطل (باتوم) (أي ستالين) منع صدور المسرحية التي تناولت سيرته. ولم يرافق المنع اية تفسيرات، فربما كانت المسرحية ناقصة في تناولها الموضوع ، أو ربما لان بولجاكوف انتهك قواعد اللعبة (بين القط والفأر) . لقد كانت تلك بداية النهاية. وظل يتساءل من زوجته التي كانت بجواره في حافلة كانت تقله وهو عائد إلى بيته (إلى اين نحن ذاهبون؟ إلى الموت؟) شعر بانه ميت، وراح يتجرع الموت فعلا، ففقد بصره ، وعانى صداع الشقيقة، الذي زادته بعد وقت سريع الام في الظهر. واستولى عليه مجددا الخوف والكآبة . لقد كانت تلك اعراض مرض نفسي، وادرك المحيطون به ذلك. ووجه ثلاثة من اصدقائه من ممثلي المسرح الفني رسالة التماس إلى سكرتير ستالين يرجون بها تدخل رئيسه (فذلك الامل الوحيد لانقاذ الاديب الكبير وسيكون منعطفا قويا وايجابيا يمكن ان يعيد حب الحياة لبولجاكوف) وعقدت حينها الامال على تكرار المعجزة التي وقعت عام ١٩٣٠، حينما رد ستالين على رسالة الاديب اليائسة بمكالمة تليفونية ، تم بعدها ضم بولجاكوف إلى المسرح الفني الذي كان يديره قسطنطين ستانسلافسكي والسماح للنظر بعرض عدد من مسرحياته.

ولكن ستالين اكتفى هذه المرة بالاعتراف علنا بان باتوم "مسرحية جيدة" ، مما جعل قراره بمنع عرضها، يبدو قرارا غامضا. ولم يساعد ذلك الرأي على انتشال الاديب من تلك الهاوية، التي راح يسقط بسرعة في اعماقها.

نهاية المبارزة

وبذل بولجاكوف على فراش الموت مجهودا مضاعفا لانهاء الكتابة النهائية لرائعته الخالدة (المعلم ومارجريتا) (العمل الوحيد الكبير المترجم إلى العربية لبولجاكوف)، وقال لزوجته (انني على استعداد للتضحية بكل شيء بالرواية وبالنظر، مقابل ان تزول عني الآم الرأس الفظيعة). ويصبح أحيانا بعد تناوله جرعة من المهدئات شديد التأثر والحساسية ، يستعيد مرارة الواقع: المسرح والحرب الاهلية. وستالين . وسرد على زوجته قبل يومين من موته حلما راوده (وقفت وسط حجر جميل رمادي. اردت ان اتحدث لستالين بنفسي، اردت ان يقول لي بنفسه شيئا ما لم افلح في الحديث مع ستالين) وسيكون الحلم واضحا حين تفسيره، على وفق نظرية يونج، وهو مشابه لحلم بونتيا بيلاتا احد شخوص روايته "المعلم ومارجريتا" الرئيسيين الذي تحقق في الواقع. ويواصل بولجاكوف باصرار الحوار ولكن هذه المرة وهو على شفرة الموت . لقد كان ستالين بالنسبة له القوى العليا الخرافية التي بمقدورها وحدها الحكم على اعماله وتقييمها. ولم يتم بينهما اللقاء الذي عقد الاديب عليه الامال الكبيرة ، ولذلك فان بولجاكوف يرتب ذلك اللقاء بمخيلته (كان بمقدوري ان ارد عليه، من دون شك كان بمقدوري ان ارد عليه ليعرف الجميع ذلك). (من سيأخذني من سيستقبلنا؟ ولا اتمنى الشر لاحد) وبعدها غدت الكلمات مبهمة. ينادي زوجته ويحاول كل مرة ان يقبض على السكين. وعقب ذلك صرخة (النور) انها صرخة بطل مسرحيته (موليير) قبيل موته . ورددت زوجته في الساعة ١٦,٣٩ في العاشر من آذار عام ١٩٤٠ جملة واحدة (لقد مات ميشا) (ميشا اسم التدليل لميخائيل).

ورن في اليوم التالي جرس التليفون في المسرح الفني، وجاء صوت سكرتير ستالين على الخط ليتساءل، اصحيح ان الرفيق بولجاكوف مات. ولف الصمت الجهة الأخرى من الخط. انتهت المبارزة ، وسقط الاديب من دون ان يسمع الكلمة الاخيرة من فم الدكتاتور.

وجع الفتى..
وحوله الفتاة تفقأ
احلامه

ماجد موجد

من افاض عليك
شراسة الباطل ايتها الوديعة؟
يا أرنبة العشب والقطن
انك تضطجعين على انين لا ينقطع
وعينِاك ترفسان بوجه الخائف
شرراً من الموت والكراهية
ما الذي جعلك تنتبهين على عثبة بلامح
ايتها المضيئة الوحيدة؟
❖❖❖
لا تتفاجئي بهذا الحليب
انني اقول لغة الاعتراف
والعالم مضطرب بالسحر والخيانة
هذا الاخضرار بالامس كان ريشة
هذه الرعشة سيتجمد زهوها غداً
وبنات الماء
يتغيرن في المواسم
نخلة لمهب الغربة
لحزنها
للقلب الذي فرش اعذاقه
يريد الظل بترفه واحمراره
وانت بكل شيء
كل شيء تبقى منك
ينام ويغتسل ويتنفس
حيث اغتسل واتنفس وانام
...
رأيت ...
وجهك طفل الدهشة
مرام العزلة

ضوء الكتابة الغريبة
ويديك
قطرتين من الالق
سحابتين من الدمع والنعاس
هذا سر ذاكرتي
فعلام هذا السحر؟
ولماذا هذه الخديعة؟
يا حبيبة الملمح والملمس
كل شيء معلى
يخنس تحت صليلك
ولقد فعلت الابهى
والعالم
والسحر
والاعتراف
كل الاعتراف انني احبك
...
وكلما حاولت وجودي
وجدتني ناشفا على رصيف خضرتك
طالما اداول احلامي
وهي تذهب وتجيء
لذلك اصرخ
لأغير وجه الكلام
لكنك تاتين بزهرة من المياه العميقة
لا افهم كنه لونها
هكذا اقول:
وهكذا تقولين:
❖❖❖